السيد محمد جمال الهاشمي

بنت الريف

المقدمة

هاك مني رواية أدبية خلدتها العواطف البشريه
كتبتها روحي بحبر من الآلام في صفحة الحياة الشجيه
مثلتها مشاعري لبني الدهر ففازت بالسبق والأولية
بقيت عبرة لمن يتلقاها مثالا للطغمة الفوضوية
سوف أمحى من الحياة وتبقى بعد موتي بين الاعاصر حيه

— ١ —

السما رصعت بأنجمها الزهر ولاحت بشكلها المستميل
وعلى الارض رش انوارها البدر فشابت منه رؤوس التلول
عبق الحقل ناشراً راحة الروح ورواح الارواح نشر الحقول
وجرى هادئاً يبعث اللحن شجي التوقيع والترتيل
أغمض الطير جفنه حالما بالعبقريات من رؤى وميول
خمدت ثورة الطبيعة حتى تحسب الكون خالياً من تزيل
انا ساج كالكون رهب من الليل
كئيب كالخائف المخذول
اذهلتني به فتاة أراها ترقب الأرض والسما في ذهول
كاشفاً سرها على رغم ستر الليل والروض والرداء الطويل

* * *

وجهها بارز عن الستر يبدو كاسفاً، هل رأيت لون الاصيل
مابه من وسامة تكشف الآلام منها ولا به من ذبول
كسرت جفنها حياء من البدر مطلا على الربى والسهول
ليمين ترنو زماناً وطوراً لشمال كالمتقي بشمول
عكس النهر شخصها فهو فيه بارز رغم سترها المسدول
طال منها الجلوس وانتصف الليل
فلا جيشة ولا من رحيل
ضمت ذرعاً وكدت اسعى اليها
بارتياب، او انثني لسبيل
فاذا بي أرى على البعد نوراً جائلا في الغصون بين النخيل
واذا بالفتاة تعدو لتخفى ظلها عنه في مكان ظليل
ذافتى من بنى الحضارة قد وافى عجولا، كم عثرة لعجول
يرتدي (بدلة) تلائم ذوق الاريحي الظريف في (التفصيل)

كلام العرب .

قلت : والموازنة يعرفها علماء البديع بانها قول يقوله المتكلم يتضمن ماينكر عليه فيه بسببه وتتوجه عليه المؤاخذة فيستحضر بحذقه وجهاً من الوجوه التي يمكن التخلص من تلك المؤاخذة أما بتحريف كلمة او تصحيفها أو بزيادة أو نقص أو غير ذلك من الوجوه وشواهدها أكثر من أن يحيط به هذا المقال .

وفي أم العباس بن مرداس خلاف فقيل انها الخنساء الشاعرة الصحابية وانها أمه وأم اخوته الثلاثة وكلهم شاعر ولم تلد الخنساء الا شاعراً وقد ذكر الاصبهاني في الاغاني ان الخنساء أم عباس وأم اخوته سراقة وجزء وعمرو بني مرداس ثم قال وعباس اشهرهم واشعرهم وافرسهم واسودهم . أما ابن الكلبي فقال أم ولد مرداس جميعاً الخنساء الا العباس فانها ليست أمه ولم يذكر من أمي ؟

وذكر غير واحد ان أم العباس زنجية سوداء واستشهدوا على صحة مدعاهم بان رياح بن سنيح الزنجي مولى بني ناجية لما بلغه قول جرير :

لا تطلبن خؤولة في تغلب فالزنج أكرم منهم أخوالا

افتخر وقال قصيدته التي منها :

فالزنج أن لاقيتهم في صفهم لاقيت ثم جحاجحاً ابطالا

وذكر في هذه القصيدة اشرافاً من شجعان العرب منهم عباس بن مرداس وغيره وذكر ان أمهاتهم زنجيات والمعروف ان العباس كان سيداً مطاعاً في قومه وانه كان شاعراً ولكن ابن سلام لم يضعه في طبقاته بين شعرائه وانه مات في عام ١٨ هـ

صادق الملائكة

آه ما اجمل (العصا) في يديه. وهو يلهو بها بوضع جميل
صاح لما دنا من (البنت) يا - ليلى - أطلي على المحب العليل
اين انت ليلى وهى تخرج من مكنها :
قدمت اهلا على الرحب ، لما ذا التأخير ، خيراً خليلي

الفتى : كنت في محفل بضم شباب العصر
من كل ماجد ونبيل
نرهف العقل في معاقرة الراح وفي الراح راحة للعقول

ليلى : ضاق صدري من انتظاري

الفتى : فداك الصب.

ليلى : لادمت عازمي وكفيلي
جلسا يشرحان للحب سفراً باختصار ربو على التفصيل
وتلاقى الصدران والتبس الامر ورنت صناجة التقبيل
ثم ناما على الأزاهير نوما هادئاً من وساوس التخييل
وبدا الفجر فاستفاقا وهب الطير يستقبل السنا بالهديل
ثم كان الوداع في قبلات هى أسمى من كل قال وقيل
وانثنى راجعاً ، وعادت الى الاكواخ مختالة بجر الذيول

***

— ٢ —

ها انا بعد مدة جالس في ذلك الحقل حول ذاك الغدير
وعلى ليلة الهوى ، والفتى السمح ، وليلي يمر نيف شهور
ليس لي عنها اطلاع لانبيك ولا ساقني القضا لخبير
القضا عابس قطوب ووضع الروض يشجي بزهره المنثور
ذهبت زهوة الورود وزالت روعة الحسن من نشيد الطيور
مزعجات الرياح تنثر بالأوراق صفراء في الثرى ، في الغمير
لابهاء الاشجار يذهب بالاشجان عني ولا صفاء الزهور
كل شي حتى الثرى فيه بالك يتشكى من الخريف الشرور
أخذتني الهموم واضطرب القلب
وفاضت عيني بدمع غزير
ساءني منظر الورود كما قد سرني قبل بالجمال النضير
خاشع صامت من الحزن اصغي لأنين الصبا ونوح الدبور
شابح في الفضاء طرفي كأني اشتكي الدهر للسميع البصير
فتذكرت ليلتي مذ اليها ساقني في تجواله تفكيري
وتطلعت للبيوت وقد رق عليها قلبي وحن شعوري
منظر للشقا تمثلها الإكواخ تجري لها دموع الضمير

***

حجرات من الحصير بها عاشت اناس منها بناء القصور
أدموع ابن الكوخ يشربه ابن القصر
في الكأس أم نطاف الخمور ؟!
ذاك لولا جهوده وشقاه لم يكن ذا براحة وسرور
بقرات مضمورة تطلب (اللب)
بوادي مافيه غير « القشور »
وحوالي البيوت أنظر اشباحاً عليها ذل الشقاء المرير
جلسوا يشتكون من مضض العيش
ويبكون من دواهي الدهور
وبعيداً منهم اري شبحاً يستلفت الطرف بالحراك الكثير
رجلا يحفر الثرى بارتياب أفيخشى ضريبة للقبور ؟
وعلى القرب منه نعش علته روعة الموت والسكون المثير
جلست حوله عجوز عليها مسحة الحزن تنجلي بظهور
تسكب الدمع ثم تمسحه في كمها كالفتى الشجاع الأسير
ترقب البر والمنازل خوفا من رقيب وريبة من خفير
فاذا أيقنت بوحدتها عادت الى نوحها الخفي الخطير
حفر القبر ثم عاد وقد غص من الحزن بالشجى والزفير
جلسا يبكيان سراً على النعش بحال تهيج حلم الصبور
منظر يلهب العواطف بالوجد ووضع يهز صم الصخور
ذاك شيخ باك وهذي عجوز تخنق الصوت في بكاء مرير
فهما والد وام ثكول وفتاة ممدودة في السرير
ثم قاما والنعش بينهما قد حملاه لقبره المحفور
فترى الام وهى ذاهلة اللب هياماً تحوم حول الحفير
وترى الشيخ يحمل الجسم للقبر بطرف هام وقلب كسير
اسكبي يا سماء دمعاً لهذا الرزء حزناً ، وانت يا أرض هوري
ذاب يدفن ابنة تلك ام خلفه كالمطارد المذعور
وبدا الوالد الحزين واخفى سر ماضيه في حمى مستور
ينثر الترب من شجون على الرأس وتنعى بدمعها المنثور

جلسا بعدما اختفى الجسم في القبر وأمسى في لحدها المهجور
جالبكا يندبان بنتها طوراً وطوراً باللدم فوق الصدور

* * *

الوالد :

استريحي ياليل في القبر من عيش زمان جان ودهر غدور
رغم حسي أزف جسمك للديدان قبل الزفاف والتخدير
بين طي الاكفان يصبح يالهفي ولما يفز بنشر الحرير
أسفاً تلكم النواظر تمسي طعمة الدود بعد ذاك الفتور
قصر العهد منك يا حلم الحب. وحلم الاحباب غير قصير
آه مليون آه كم في ضميري من شجون يأن منها ضميري
فعلى ذمة الدساتير قتل قد أباحته ذمة الدستور

* * *

الام :

كيف عيشي من بعد بعدك يالبلى و كيف القرار بعد مسيري
أصحيح أراك في القبر تمسين واغدو وحدي ولا من مجير
لا، فهذا حلم، أحلم وهذي العين ترنو لقبرك المنظور؟!
خذ بروحي لروح ليلى المي فحياتي بموتي المذخور
كيف صبري بعد الفراق وقلبي بفراق الاحباب غير صبور
قام بعد البكاء عن قبرها الشيخ مشيراً الى العجوزة سيري

* * *

— ٣ —

تنقضي من وفاة ليلى ليال قست فيها لواعج الاحزان
الفضا عابس كما كان والجو قطوب كالثائر الغضبان
سرت من بعد ما ترددت في السير مجداً أعدو الى البستان
وقصدت الاكواخ أنشد عن دار أبيها كالتائه الحيران
جاءني قاصداً الى الكوخ طفل ناحل الجسم كالاسير العاني
ومضى وهو باسم حيث قد جدت عليه بدرهم رنان
وطرقت الفناء (وهو من القش) بكفي في خشعة واتزان
صاح لي في كدوزة وارتياب صائح : من، فقلت: خل حاني
فتح الباب لي على الرغم شيخ غائر الطرف فاقد الاسنان
قال لي : من تكون، وهو يحد الطرف لي، قلت : من

بني الانسان
قال لي ماتريد، قلت: سؤال منك فيه حياة قلبي الفاني
قال لي: اسأل فقلت لا ينبغي ذاك امام الاغيار والجيران
إن تفضلت في قبولي ضيفاً ذاك جود والجود للعربان
قال: لي ادخل قدمت أهلا على الرحب، فتمتمت: معلناً شكراني
ودخلت الكوخ الحقير وطرفي جائل في السقوف والجدران
أي كوخ رأيته محزن البؤس ومأوى الآلام والاشجان
منحن مثل ظهر صاحبه قد ضعضعته طوارق الحدثان
ليس فيه من الاثاث سوى قدر من الطين مثل ذاك الاواني
وحصير بال عليه من الصوف بساط من عهد عاد الثاني
جلست فوقه عجوز تسيل الدمع سحاً كالعارض الهتان
مذرأتني أخلته للضيف اجلالا، وقالت : شرفت قدر امكاني
حرت في مجلسي لاني ارى الاوساخ حامت عليه كالديدان
وأخيراً جلست رغماً لنفسي فوقه في وداعة الضيفان
قلت : صبحتما بخير واحسان أجابا . بالخير والاحسان
واتاني بقهوة حرمتها من قديم شرائع اليونان
سودتها الاوساخ فالسقم فيها كامن، والبلى اليها رانى
فتاخرت في قبولي ولكني تقدمت لاعنا شيطاني
أفليس الفقير مثلي أناني فوقه بالشعور والوجدان
لم هذا الكبر المشوم ألسنا نستوي في الاسلام والايمان
فتجرعتها بانس وقدمت له في وداعة فنجاني

* * *

وبقينا والصمت يغمرنا حتى شرعت الحديث باطمئنان
قلت : مالي ارى بعينيك آثار بكاء فاهت به العينان
قال: مابي شيء ولكن جسمي شاخ ضعفاً كما وهت اركاني
قلت: مالي ارى عجوزك تبكي قال: سقما، والسقم باغ حاني
قلت. زال السقام عنها ولازلت حليف النشاط كل زمان
بيد اني رايت من قبل ايام بسيري شيئاً أطار جناني
كان نعش تطوف حزناً عليه في مكان ناء عن السكان
كنت تبكي همساً وكانت تبث الشجو في نوحها بصوت واني
وشرحت الذي رأيت باسلوب رقيق ومنطق فتان